باحث عن الحرية

أحمد محمد علام

كنت عائدا من واجب عزاء في إحدى القرى النائية لمحافظة الجيزة و كانت وسيلة المواصلات شبه عربة بها صندوق قديم متآكل، أفناه الدهر بتفاعل قيظ الحرارة مع عرق المؤخرات المتفاوتة الأحجام و الاشكال. يرتج و يأن و يزمجر و يتكرع كأنه يلفظ أنفاسه الأخيرة.. حشرنا فيه السائق كأنما يرص قوالب طوب.. طلب الأجرة بينما نحن نرتفع و نهبط في الصندوق. سألت كم الأجرة؟ فوجدت كل راكب ممسكا بعشرة جنيهات مادا بها يده.... ` عشرة جنيه ياللافندي `.. صرخت: عشرة جنيه في الحتة الصغيرة دي!! ليه؟؟

: هي دي الأجرة يا بيه لو مش عاجبك انزل. قالها السائق بكل برود..

: ادفع يا اللافندي و انت ساكت دي اخر عربية النهاردة والا هتروح مشي.... نفس السيدة.

اعترضت طبعا: ازاي دي مسافة صغيرة و العدد كتير جدا و العربية زي حق السردين المخروم.

: ما قلتلك مش عاجبك انزل.

: بس ده افترى و ظلم كمان... دول باينهم فلاحين غلابة و على قد حالهم تقوم تسرقهم و تنصب عليهم.

: ليه قلة الادب دي بقى؟؟؟

: انت انسان معندكش ذوق...

: انا معنديش ذوق؟ طب ايه رايك لاوريك..صرخ عاليا.

هنا تدخلت الناس.... معلش يا بيه...خلاص يا استاذ...ادفع يا عم و خلاص... اعتبرها زكا...انت شكلك بيه قد الدنيا.. ادفع وخلصنا...خلينا نمشي حرام عليك هنتاخر ع العيال... وانا عندي نبطشية ايه القرف ده!!

:يا جماعة انا بتكلم عشانكم انا مش جي هنا تاني دي مرة و خلاص... كتير قوي عليكم ال ١٠ جنيه، نفس المسافة عندنا في مصر ب ٤ جنيه ده ظلم..

: يا عم الله لا يسيئك اسكت... ملكش دعوة... احنا عاجبنا... راضيين.

: راضيين ازاي!!

: أهم قالو لك اخرج انت منها..(السائق ساخرا مني)

: بس مينفعش لازم تعترضوا.. ترفضوا.. اتظاهروا..اصرخوا...

: يعني ايه يا بيه؟ رجل عجوز مكوم خلف كومة من القش.

: متدفعوش غير الأجرة السليمة...اللي قالت عليها الحكومة.

: طب و البنزين والسولار و قطع الغيار والخدمات والصيانة اللي زادت هندفعها منين يا هندسة؟؟ (هكذا صرخ السائق في وجهي)

: خد حقك و بس.

بقولك ايه...انت الكلام مش هيجيب نتيجة معاك.. وانا هاسلمك في الكمين و اقول انك عايزنا نتظاهر و نعترض و نهتف ضد الحكومة.

: لا..ضد الظلم و السرقة.

: ادينا وصلنا...استنى بقى.

و صلنا الموقف..مرة واحدة قفز السائق و طار إلى أقرب مركز و صلنا له. " اهرب يا بيه.. اهرب يا عم حرام عليك... اجري بسرعة " توسلت لي الركاب.

دون وعي أو تفكير جريت.

وقفت خلف احدى الأشجار البعيدة اترقب الموقف. وجدته عائدا و معه رجل

البوليس، معلقا بندقيته على كتفه و باحثا عني في كل مكان و مفتشا كل السيارات الواقفة... تصنعت أنى لست الرجل المطلوب القبض عليه لجرأته و حلمه بالعدل و الحرية. انشغلت عنه بالاستمتاع و النظر إلى الريف و جمال الخضرة و صفاء سماء يناير الداكنة التى تنبئ عن هطول أمطار وشيكة.. كم أعشق هذا الجو.. وسط هذه التأملات و قد نسيت لبرهة معركتي مع السائق..وجدت بدأ تهبط على كتفي من الخلف." تعالى معايا "

: ليه؟

: أنت غريب مش من هنا.. صح؟؟

: آه

: طب خد نفسك و روح لعيالك... روح ربيهم.. أنت ضيف عندنا.. روح أحسن

: حضرتك انا مستخبي وسط الناس دي كلها وقاعد على جذع شجرة.. مش باين يعني..جبتني ازاي!!

: بسيطة جدا... انت الوحيد اللي قاعد بتتفرج ع الغيطان و الماية و الباقى عمال يشخ زي ما انت شايف كدة في الترعة أو في الغيط.. ده اولا

: وثانيا؟

: وثانيا السواق صورك بالموبايل هو و الركاب و وروا صورتك للعساكر.

: معقول عملوا كدة!!!!

: خذ صورتك اهي..... و اركب العربية دي و ماشوفكش هنا تاني...روح ربي العيال..

وضعت قدمي في أول عربة فوجدتها طارت في الهواء وبسرعة الصاروخ لمست قداميا الأرض...

من وقع الدهشة و هول الصدمة أفقت.

سبحان الله.... ايه الحلم العجيب ده!

***